سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

خطبة جمعة

سورة العصر

لفضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ
حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (١)

الشَّيخُ لم يراجع التَّفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

[الخطبة الأولىٰ]

الحمد لله، يُحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون، أحمد الله سبحانه علىٰ جزيل إنعامه، وواسع إفضاله، وتواتر آلائه، أحمد ربي حمدا كثيرا كما يحب ويرضىٰ، وكما هو له أهل، وأثني عليه بما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدا عبد الله ورسوله، نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدىٰ الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد، وتركنا بعده علىٰ طريق واضحة لا يلتبس معها السالك طريق بينة، نهج لا يلتبس معها وفيها من أراد المسير إلىٰ الله جل وعلا، تركنا علىٰ البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده ﷺ إلا هالك، ولا خير إلا دلنا عليه، ولا شر إلا حذرنا منه، أنزل الله عليه الكتاب والحكمة، وجعل الله القرآن العظيم حجة محمد عليه الصلاة والسلام إلىٰ قيام الساعة.

اللّٰهمَّ صلِّ وسلم وبارك علىٰ عبدك ورسولك محمد كفاء ما أرشد وبيَّن، وكفاء ما جاهد وعلم.

اللّٰهمَّ وصل علىٰ الصحب والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد..

فيا أيها المؤمن أوصيك ونفسي بتقوىٰ الله ﷻ بأن نمتثل أوامر الله فإذا سمعنا بأمر أسرعنا في طاعة الله بالإتيان بتلك الأوامر ما استطعنا، وإذا سمعنا بنهي نهىٰ اللهُ عنه من منكرات الأقوال أو الأعمال أو الاعتقادات -أي أعمال القلوب- فإننا نسرع بالانتهاء عنه كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[الحشر:٧].

أيها المؤمن، إننا كثيرا ما نقرأ سورا قصيرة من القرآن، يقرؤها العبد في نوافله، وربما في فرائضه، يقرؤها ويقل تدبره لها، ويقل تأمله لها، وربما كان فيها الحجة الماضية، القائمة علىٰ العبد الذي قرأ تلك الآيات، إذا كان يسمع أو يعقل، إذا كان له فؤاد يعقل به، أو كان له سمع يسمع به.

لهٰذا قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في سورة قصيرة من سور القرآن: لو ما أنزل الله علىٰ خلقه إلا هٰذه السورة لكفتهم. يعني سورة العصر قال جل وعلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرَّحمٰن

الـــــــــرحيم: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ هٰذه السورة لو ما أنزل الله علينا إلا هٰذه السورة لكفتنا:

لِما فيها من أركانِ ما دعت إليه الشريعة؛ من أركان الإيمان.

لِما فيها من ذكر العمل الصالح.

لِما فيها من ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لِما فيها من أصول الصبر بأجمعها؛ أي: الصبر علىٰ الطاعة، والصبر عن المعصية، والصبر علىٰ أقدار الله المؤلمة.

أيها المؤمن تأمل وتدبر ما أقسم الله به حيث أقسم بالزمان فقال لنا جل وعلا: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ أي هٰذا قسم بالزمان، والزمان أي والعمر، والزمان والعمر الذي عُمرك الذي هو زمان التكليف، الذي هو الوقت الذي إن شغلته بالطاعة فإنك إلىٰ نعيم دائم، أو شغلته بإعراض فإنك علىٰ خطر وتوعد.

هٰذا الزمان، أقسم الله به، الذي هو في الحقيقة أغلىٰ شيء علىٰ الإنسان؛ لأنه عمره الذي فيه التنافس وفيه العمل، وفيه كل ما يرومه الإنسان مما يعمله بما يستقبل في آخرته.

أقسم الله بهذا الزمان لعظم شأنه، ولشرفه، ولعظم مكانته عندنا؛ لكي يحض الخلق علىٰ تأمل ما سيأتي من المقسم به، يعني لأي شيء أقسم الله بالعمر، لأي شيء أقسم الله بالزمن، لأي شيء أقسم الله بالعصر؟ أقسم الله بذلك علىٰ حقيقة عظيمة ألا وهي ما جاء في قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ يعني أن كل الإنسان وجنس الإنسان في خسارة عظيمة وآيل أمره إلىٰ خسار عظيم لا فوز بعده ولا نجاح معه، إن الإنسان، كل الإنسان في أعظم خسار، إذا هو لم يستغل ذلك العمر فيما وصف الله جل وعلا واستثنىٰ بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني أن كل إنسان في خسار إلا من سماهم الله ووصفهم بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وهؤلاء صنف. ثم قال: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهؤلاء صنف. ثم قال: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾، فهٰذه أربعة أوصاف، الناجي من أخذ بها، ومن أخذ بخصلة منها فإنه يُرجىٰ له النجاة مع الإيمان بالله جل وعلا.

فتأمل أيها المؤمن وتدبَّر كلما قرأت هٰذه السورة التي أرجو أن لا يكون حظِّي وأن لا يكون حظُّكم

من قراءتها الهدر والسرعة في التلاوة دون تدبر لهٰذه السورة التي هي حجة الله علينا.

استثنىٰ الله من الخاسرين الذين حقت عليهم الخسارة في أعمارهم استثنىٰ أهل الإيمان فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ **والمؤمنون** هم الذين إذا تليت عليهم آيات الله زادتهم إيمانا، إذا تليت عليهم آيات الله خشعت قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق، **المؤمنون** هم الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون، **المؤمنون** هم الذين حققوا الإيمان بالله ربًّا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا.

لهٰذا الإيمان -أيها المؤمن- اعتقاد في القلب وعمل بالأركان والجوارح ونطق باللسان.

هٰذا الإيمان النافع من آمن بقلبه فاعتقد حقا: أن الله هو الرب وحده، وأن الله هو المستحق للعبادة وحده، وأن ذل القلب وتوجهه وأن الدعاء وأنواع العبادة إنما هي لله جل وعلا وحده، الإيمان بأن تؤمن بأن الله جل جلاله لا مثيل له في أسمائه ولا مثيل له في صفاته ولا مثيله له في أفعاله ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾[الإخلاص].

أيها المؤمن، الإيمان بالله جل وعلا إذا خالط القلوب وصدقته الأعمال فإنه يورث ويثمر عملا، وكلما زاد العمل زاد الإيمان، لهٰذا المؤمن الذي حقق الإيمان يُرجىٰ له أن يكون من الفائزين، يرجىٰ له أن لا يكون من الخاسرين.

ثم وصف الله أهل الإيمان الذين نجوا وفازوا بقوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهؤلاء من أهل الإيمان؛ ولٰكِن الله جل وعلا عطف العمل علىٰ الإيمان مع أنه جزءٌ منه؛ لأنه مهم فيه، وللتنبيه علىٰ أن الإيمان بالقلب لا يكفي؛ بل لا بد من العمل الصالح، فإن العمل الصالح دليلُ صدق الإيمان القلبي، فالإيمان له ظاهر، وله باطل، فليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي؛ ولٰكِن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال العمل الصالح أنواع:

عمل القلب من العمل الصالح، من حُسن محبة الله جل وعلا، وحُسن رجائه، وحُسن التوكل علىٰ الله جل جلاله، ومن حُسن الظن بعباد الله المؤمنين، ومن أن تُحِب لأخيك ما تحب لنفسك، أعمال القلوب من الأعمال الصالحات.

وكذلك أعمال اللسان، وكذلك أعمال الجوارح.

كل ذلك من امتثله وأتىٰ به فإنه يُرجىٰ أن لا يكون من الخاسرين؛ الذين توعدهم الله بالخسارة، فهاتان صفتان جمعهما الله جل وعلا في أصلين عظيمين في أصل العلم وفي أصل العمل.

في أصل العلم الذي هو الإيمان؛ لأن العبد لا يصح أن يكون مؤمنا إلا إذا علم حقيقة ما آمن به ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾[محمد:١٩] فبدأ بالعلم ثم ثنىٰ بالاستغفار من الذنب، أيها المؤمن هاتان صفتان.

وأما الصفة الثاالثة فهي صفة التواصي بالحق؛ يعني أن يكون النَّاجي أن يكون الذي يرجو الفوز يرجو أن لا يكون من الخاسرين، من الذين عودوا أنفسوا التواصي بالحق، يعلم الحق ثم يتواصىٰ يتواصىٰ مع إخوانه بهذا الحق، يعني يدعو إليه، فإذا كان في بيته أوصىٰ بالحق، ومعنىٰ ذلك أنه ينهىٰ عن الباطل والمعصية، إذا كان مع زملائه فإنه يدعو إلىٰ الحق والهدىٰ، كلماته كلمات خير، ونطقه نطق بالدعوة ونطق بالتواصي بالحق لم؟ لأنه قام في قلبه حقيقة الإيمان، قام في قلبه حقيقة الخوف من أن يكون من الخاسرين، فالذي يرجو النجاة ليتواصىٰ بالحق وليتواصىٰ بالدعوة إلىٰ الله جل وعلا، فإن الدعوة هي سبيل النجاة وسبيل الثبات علىٰ الحق والهدىٰ ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[النحل:١٢٥].

هٰذا التواصي بالحق -أيها المؤمن- لا تقل لا أعرف كيف أدعو، لا أعرف كيف أتواصىٰ بالحق، هٰذا التواصي بالحق والدعوة إلىٰ الله جل وعلا سهلة وميسورة، ولكنها سهلة علىٰ من يسرها الله عليهـ إذا كنت في بيتك فأجل نظرك وقلبك في أوامر الله: ربِّ الصغير علىٰ ذكر الله وعلىٰ محبة الله ومحبة رسوله ﷺ ومحبة دين الإسلام وتعظيم أوامره، ربِّ زوجتك علىٰ أن تكون مطيعة لله جل وعلا خائفة، إذا كان أمر فيه طاعة لله فحُضّ عليه ولتكن أول الفاعلين لذلك، وإذا كان أمر فيه معصية لله جل وعلا، فكن قدوة صالحة، فإن القدوة بالعمل أعظم وأعظم من القدوة بالأقوال. أسأل الله جل وعلا أن يجعلني وإياكم من المتواصين بالحق.

ثم ذكر الله لك الخصلة الرابعة للذين وعدهم بالفوز والنجاة، ووعدهم بأن لا يكونوا من

الخاسرين، واستثناهم من جملة الإنسان الخاسر وصفهم الله بقوله: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ يعني أوصىٰ بعضهم بعضا بالصبر. فما الصبر ؟

الصبر أن تصبر علىٰ طاعة الله، لا شك -أيها الأخ-، لا شك -أيها المؤمن- أن الطاعة فيها تعب وأن الطاعة فيها كلفة، ولٰكِن الله جل وعلا لا يكلِّف نفسا إلا وسعها.

الحمد لله التكاليف إذا تأملتها فإنها ميسورة، والله جل وعلا لم يجعل علىٰ المريض حرج، ولم يجعل علىٰ الأعمىٰ حرج، ولم يجعل علىٰ الأعرج حرج.. وهكذا إذا كان المؤمن في صحة وسلامة فإنه يصبر علىٰ طاعة الله، والصبر علىٰ طاعة الله يورث النور في القلب، ويورث لذة المجاهدة، ثم يتواصىٰ المؤمن مع إخوانه علىٰ أمر عظيم؛ وهو أن يصبر عن المعصية، المعصية في كثير من أنحائها معها شهوة ومعها لذة، ولهٰذا يحسنها الشيطان ويجعلها حلوة لذيذة؛ ولٰكِن المؤمن لا يُؤْثِرُ اللذة القاصرة، لا يؤثر اللذة الحالية، لا يؤثر اللذة المؤقتة علىٰ النعيم الدائم.

كم صبر أقوام من الصالحين في سنوات قليلة، في عشرات من السنين، ثم أُعقبوا بفضل الله وبرحمته في الجنة مع الصديقين والشهداء والصالحين.

كم صبر أقوام عن المعاصي ثم وجدوا بعدها لذة الإيمان وحلاوة اليقين في قلوبهم.

وكم فعل أناس معاصي الله من الكبائر ثم وجدوا القلق ووجدوا المرض في أنفسهم، إلا إذا صارت قلوبهم لا تعرف معروفا ولا تنكر منكرا -والعياذ بالله.

أيها المؤمن الصبر عن المعصية ساعة خير من تجرُّع الندامة ساعات بل عمرا طويلا؛ بل بعد ذلك لا يدري هل يتوب الله عليه أم لا؟!

أيها المؤمن ثم صبر نتواصىٰ به، وهو الصبر علىٰ المصائب إذا ابتلانا الله بفقد حبيب فالصبر والاستسلام لأمر الله، إذا ابتلانا الله بالفقر أو بنقص من المال فإننا نصبر علىٰ هٰذه الفتن، إذا ابتلانا الله جل وعلا بالغنىٰ، فإننا نصبر في استعمال المال، في طاعة الله، إذا ابتلانا الله جل وعلا بأنواع ما يفتن به الناس فإننا نعامل أنفسنا بالصبر.

لهٰذا ترىٰ أن هٰذه السورة جمعت الدين كله، جمعت أركان الإيمان وأنواع التوحيد والعمل الصالح بأنواعه، وجمعت الدعوة إلىٰ الله جل وعلا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجمعت الصبر الذي

معه تحصيل نصف الإيمان لما قال: الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر.

وتأملت هٰذه الصورة وجدت فيها نوعي الإيمان: فمنها ما هو شكر، ومنها ما هو صبر.

أسأل الله الكريم بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يجعلنا ممن علمهم التأويل، وفقههم في الدين، وجعل القرآن ربيع قلوبهم، ونور أبصارهم، وضياء أفئدتهم.

اللّٰهمَّ اجعلنا من المحبين لكتابك، المتبعين لرسولك، المتأثرين بكلامك يا أرحم الراحمين.

اللّٰهمَّ نسألك أن تجعل القرآن حجة لنا، لا حجة علينا، وأنت أكرم مسؤول.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾[النحل].

بارك الله لي في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول قولي هٰذا واستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

[الخطبة الثانية]

الحمد لله، الذي أجزل علينا النعم، وتابع علينا الفضل والإحسان، أحمده سبحانه علىٰ ما أولانا من نعمة الإسلام، واتِّباع سنة العدنان محمد -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه وسلم اللّٰهمَّ تسليما مزيدا.

أما بعد..

فإن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

وعليكم بالجماعة، فإن يد الله مع الجماعة.. وأوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله ﷻ، وأوصيكم بتدبر هٰذا القرآن، فإن الله جل وعلا أقام علينا الحجة بإنزال هٰذا الكتاب ﴿قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾[المائدة].

فلنتدبر القرآن ونقف عند الآي ولنحرك بها القلوب لعل قلوبنا نخشع لذكر الله ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾[الحديد:١٦]، آن الأوان أن نقبل علىٰ القرآن بخشوع وتدبر، وأن ننصرف عن الدنيا إلا ما نحتاجه منها إلىٰ القرآن الذي به حقيقة مستقبلنا، حين الإقبال علىٰ ربنا جل جلاله.

اللّٰهمَّ أيقض قلوبنا من غفلتها، نعوذ بك أن تكون الدنيا أكبر همنا، أو مبلغ علمنا، نعوذ بك اللّٰهمَّ من عين لا تدمع ومن قلب لا يخشع، ومن دعوة لا تسمع. اللّٰهمَّ فأعذنا.

هٰذا واعلموا رحمني الله وإياكم أن الله جل جلاله أمرنا بالصلاة علىٰ نبيه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللّٰهمَّ صل وسلم وبارك علىٰ عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر، وارض اللّٰهمَّ عن الأربعة الخلفاء الأئمة الحنفاء الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا ر أرحم الراحمين، وعن سائر الصحب والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

اللّٰهمَّ أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، واحم حوزة الدين، وانصر عبادك الموحدين.

اللّٰهمَّ نسألك أن تنصر عبادك الذين يجاهدون لتكون كلمة الله هي العليا، ولتكون كلمة الذين كفروا السفلىٰ.

اللّٰهمَّ أيد أولئك بتأييدك وأمددهم بمدد من عندك، واجعل عاقبتهم إلىٰ خير وعزة يا أرحم الراحمين.

اللّٰهمَّ آمنا في أوطاننا، وأصلح اللّٰهمَّ أئمتنا وولاة أمورنا، ودلهم اللّٰهمَّ علىٰ ما فيه صلاح البلاد والعباد يا أكرم الأكرمين.

اللّٰهمَّ واجعلنا وإياهم من المتعاونين علىٰ البر والتقوىٰ، يا أرحم الراحمين.

اللّٰهمَّ نعوذ بك من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللّٰهمَّ نعوذ بك أن نضل أو نضل أو نزل أو نزل أو نظلم أو نظلم أو نجهل أو يجهل علينا.

اللَّهُمَّ نسألك أن تجعلنا جميعا في أقوالنا وأعمالنا علىٰ ما تحب وترضىٰ، اللَّهُمَّ مُنَّ علينا بتوبة نصوح، اللَّهُمَّ إنك قلت وأنت أكرم قائل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[طه] اللَّهُمَّ نستغفرك ونتوب إليك، اللَّهُمَّ نستغفرك ونتوب إليك، اللَّهُمَّ نستغفرك ونتوب إليك، اللَّهُمَّ فاغفر لنا وتب علينا وأنت التواب الرحيم.

عباد الرَّحمٰن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم واشكروه علىٰ عموم النعم يزدكم ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥]..